

السينما بين التمثيل والتحوّل: رهانات الهوية والذاكرة في عصر العولمة والذكاء الاصطناعي
Cinema as Representation and Transformation: Negotiating Identity and Collective Memory
in the Era of Globalization and Artificial Intelligence

د. محمد الأمين بركات²

د. سارة خروب^{1*}

¹ جامعة بسكرة-الجزائر، sarra.kherroub@univ-biskra.dz

² المدرسة العليا للأساتذة-مستغانم-الجزائر، amine.barkat.ens.mosta@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/12/15

تاريخ القبول: 2025/11/14

تاريخ الاستلام: 2025/09/09

ملخص:

تسعى هذه المقالة "السينما بين التمثيل والتحوّل: رهانات الهوية والذاكرة في عصر العولمة والذكاء الاصطناعي" إلى مقارنة الدور المركّب الذي تؤديه السينما بوصفها فناً بصرياً ذا حمولة رمزية وثقافية. فالسينما لم تعد مجرد أداة للترفيه الجماهيري، بل غدت فضاءً حيويًا لحفظ الذاكرة الجماعية وصياغة الهوية في مواجهة التحديات الكونية. ولتحقيق ذلك، يعتمد البحث مقارنة سوسيولوجية-ثقافية تكشف عن علاقة السينما بالواقع الاجتماعي، ودورها في إنتاج الوعي الجمعي وصيانة الذاكرة الجماعية. كما تدرس كيف أسهمت السينما الوطنية والعربية والعالمية في توثيق التاريخ والمقاومة ومساءلة قضايا الهوية، مع إبراز خصوصية السينما الجزائرية والمغربية في حفظ الذاكرة الثورية ومقاومة النسيان. ويُناقش المقال أيضًا أثر العولمة التي تسعى إلى فرض نموذج بصري موحد عبر هيمنة السينما الهوليوودية، في مقابل بروز تيارات بديلة تحاول حماية التنوع الثقافي. وفي ضوء التحولات الرقمية، يُطرح السؤال حول أثر الذكاء الاصطناعي على صناعة السينما، سواء من حيث ابتكار أدوات جديدة للإبداع، أو من حيث ما يثيره من إشكالات أخلاقية وفنية تتعلق بمصير المبدع والإنسان داخل هذا الفن. وتخلص النتائج إلى أنّ السينما، رغم الضغوط الاقتصادية والتكنولوجية، تظلّ فنانًا مقاومًا قادرًا على إعادة تعريف دوره في حفظ الذاكرة وترسيخ الهوية وصناعة وعي نقدي في زمن الصورة الكونية.

كلمات مفتاحية: السينما؛ الهوية؛ الذاكرة الجماعية؛ العولمة؛ الذكاء الاصطناعي؛ المقارنة السوسيو-ثقافية.

Abstract:

This article, entitled “Cinema between Representation and Transformation: The Stakes of Identity and Memory in the Age of Globalization and Artificial Intelligence”, explores the complex role of cinema as a symbolic and cultural visual art. Cinema has moved beyond being merely a form of mass entertainment to become a vital space for preserving collective memory and shaping cultural identity in the face of global challenges. To achieve this, the research adopts a **sociological-cultural approach**, highlighting the relationship between cinema and social reality, and examining its role in producing collective awareness and safeguarding memory. The study investigates how national, Arab, and international cinema has contributed to documenting history, resistance, and identity-related issues, with a particular emphasis on Algerian and Maghreb cinema in preserving revolutionary memory and resisting oblivion. The article also addresses the impact of globalization, which seeks to impose a standardized visual model through Hollywood’s dominance, versus alternative cinematic movements that aim to protect cultural diversity. In light of technological transformations, the paper questions the influence of artificial intelligence on filmmaking, both as a tool for creative innovation and as a source of ethical and artistic dilemmas concerning the future of creators and human presence in cinema. The findings conclude that, despite economic and technological pressures, cinema remains a resistant art, capable of redefining its role in preserving memory, reinforcing cultural identity, and shaping critical awareness in an age of globalized images.

Keywords: Cinema; Identity; Collective Memory; Globalization; Artificial Intelligence; Sociocultural Approach.

★ د سارة خروب: sarra.kherroub@univ-biskra.dz

مقدمة:

تُعَدّ السينما من أبرز الفنون التي عرفها القرن العشرون، حيث وُلدت في سياق التحولات الصناعية والتكنولوجية الكبرى، لتتحول بسرعة من مجرد اختراع بصري يعتمد على الحركة والضوء إلى خطاب ثقافي واجتماعي يعبر عن الإنسان ويعيد تشكيل وعيه. فالسينما ليست مجرد وسيلة للتسلية أو الترفيه الجماهيري، بل هي فضاء متعدد الأبعاد يجمع بين الفن والتقنية والاقتصاد والسياسة، ويشترك بشكل مباشر مع الأسئلة الكبرى للهوية والذاكرة والحداثة (ميلرتوبي، وآخرون، 2005، ص78-80).

لقد ارتبط ظهور السينما بتجربة الحداثة الغربية التي سعت إلى إعادة صياغة العالم من خلال الصورة، غير أنّ هذا الفن ما لبث أن تحول إلى لغة كونية تتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية. فالصورة السينمائية قادرة على نقل التجارب الإنسانية المشتركة، وفي الوقت نفسه على التعبير عن الخصوصيات المحلية للشعوب. وبذلك، اكتسبت السينما دورًا مزدوجًا: من جهة، هي أداة لحفظ الذاكرة الجماعية وتوثيق الأحداث التاريخية الكبرى، ومن جهة أخرى هي فضاء لإعادة صياغة الهوية الثقافية في مواجهة تحديات الاستعمار والعولمة (آرمز، 2006، ص120-125).

إنّ أهم ما يميز السينما هو قدرتها على خلق "وعي جمعي بصري"؛ فهي توفرّ للجماعة صورًا مشتركة عن الماضي والحاضر، وتؤسس لرؤية جماعية للعالم. ومن هنا تأتي أهمية البحث في علاقتها بالذاكرة، باعتبارها حافظة لتاريخ الشعوب، وبالهوية، باعتبارها محدّدًا أساسيًا لانتماء الأفراد والجماعات. غير أنّ هذا الدور لم يعد ثابتًا في زمن التحولات الرقمية المتسارعة، إذ باتت السينما تواجه ضغوطًا متزايدة بفعل العولمة الاقتصادية التي تسعى إلى توحيد الذوق تحت سلطة النموذج الهوليوودي (ميلرتوبي، وآخرون، 2005)، وكذلك بفعل الثورة التكنولوجية التي أدخلت الذكاء الاصطناعي في صناعة الأفلام، مما يثير أسئلة أخلاقية وجمالية حول مستقبل الفن ذاته (McStay, 2021).

وانطلاقًا من ذلك، تهدف هذه المقالة إلى مقارنة رهانات الهوية والذاكرة في السينما من خلال منظور سوسيولوجي-ثقافي، يربط بين الإبداع الفني والواقع الاجتماعي. فهي تطرح أسئلة محورية: كيف تسهم السينما في صيانة الذاكرة الجماعية للأمم؟ بأي معنى تشكل أداة لإعادة بناء الهوية في زمن العولمة؟ وما مستقبلها في ظل تدخل الذكاء الاصطناعي الذي قد يهدّد البعد الإنساني للفن؟

إنّ مقارنة هذه الإشكاليات تقتضي الانفتاح على مناهج متعددة: المنهج التاريخي لرصد تطور السينما، المنهج التحليلي والنقدي لفهم خطابها البصري، المنهج المقارن بين التجارب العالمية والعربية، وأخيرًا المقاربة السوسيولوجية لفهم علاقتها بالواقع الاجتماعي والثقافي. بهذه الأدوات، يسعى البحث إلى إبراز أنّ السينما تظل

فنًا مقاومًا قادرًا على مواجهة التحديات الكبرى، وإعادة تعريف دوره في حفظ الذاكرة وترسيخ الهوية في زمن الصورة الكونية.

1- السينما والذاكرة الجمعية: بين التوثيق وإعادة البناء

حين يولد شريط سينمائي، لا يولد مجرد صور تتحرك على الشاشة، بل يولد تاريخ مواز للوجود الإنساني، تاريخ يُكتب بالضوء والظل، بالصوت والصمت، باللقطة والقطع. إن السينما، منذ انبثاقها الأول على يد الأخوين لومير، لم تكن مجرد عين باردة ترصد مرور القطار أو انصراف العمال من المصنع، بل كانت، في جوهرها العميق، محاولة جريئة لتجميد الزمن، لانتزاعه من انسيابه العابر، ومنحه شكلًا يمكن العودة إليه مرارًا وتكرارًا. هنا تبدأ علاقتها الحميمة بالذاكرة.

الذاكرة البشرية هشة، تتآكل بفعل النسيان، ويغشاها غبار الزمن. لكن السينما تمنحها قشرة من الديمومة. فهي تحول اللحظة العابرة إلى أثر مرئي خالد، وتحول المأساة الفردية أو الجماعية إلى نص بصري يستعاد في كل عرض. لا عجب إذن أن عدّها إدغار موران (إدغار، 2005، ص45-46) "آلة لإعادة بناء الذاكرة الإنسانية"؛ فالصورة السينمائية ليست انعكاسًا للواقع وحسب، بل إعادة كتابته بلغة أكثر كثافة وعمقًا.

في ذاكرة الشعوب المستعمرة، كان للسينما دور أشبه بضمد الجرح المفتوح. فالجزائر لم تكن لتتذكر ثورتها كما تفعل اليوم لولا فيلم معركة الجزائر (1966)، ذلك الشريط الذي حول آلام الاستعمار إلى صور حيّة تتقد بالمقاومة، وصار مرجعًا ليس فقط لأبناء الجزائر بل للعالم بأسره (أرمز، 2006، ص120-125) لقد أصبحت الكاميرا في تلك اللحظة بندقية أخرى، لكنها بندقية تحفظ، لا تقتل؛ تبني ذاكرة، لا تمحوها.

وفي فلسطين، حيث الأرض مصادرة والذاكرة مهددة بالطمس، جاءت السينما لتعيد الاعتبار للغياب. فميشيل خليفة في عرس الجليل، وإيليا سليمان في يد إلهية، لم يقدمًا مجرد حكايات، بل نسجًا شريطًا من الصور الممزقة التي تذكر الفلسطينيين بأنهم ما زالوا هنا، رغم الجدران والخرائط والاحتلال. السينما هنا تتحول إلى "أرشيف بديل"، يواجه النسيان القسري بأرشفة فنية حميمة (ميلرتوبي، وآخرون، 2005، ص78-80).

ولا يقتصر الأمر على السينما السياسية أو الثورية، بل يمتد أيضًا إلى السينما الاجتماعية التي توثق تحولات الحياة اليومية. في مصر، حين صوّرت ثلاثية نجيب محفوظ على الشاشة، لم تكن مجرد اقتباس أدبي، بل كانت محاولة لتجميد صورة القاهرة، بأزقتها، ببيوتها، وانكساراتها. هكذا تحولت اللقطات السينمائية إلى ما يشبه صفحات حية من التاريخ الاجتماعي، يصعب على المؤرخ وحده أن يدونها بتلك الحساسية البصرية.

إن السينما، بهذا المعنى، لا تكتفي بأن تكون ذاكرة تقنية مسجلة، بل هي ذاكرة متخيلة، تتسج من الواقعي والرمزي سردية تتجاوز حدود الزمن. إنها تحفظ ما يضيع، وتعيد تشكيل ما يُمحى، وتثبت في وعي الجماعة لحظات لا يراد لها أن تُنسى. إنها "ذاكرة مضاعفة": تحفظ الماضي كما وقع، وتعيد ابتكاره كما ينبغي أن يُروى.

2- السينما والهوية الثقافية

تعدّ الهوية من أكثر المفاهيم إشكالية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ لم تعد تُفهم باعتبارها جوهرًا ثابتًا أو معطى أزليًا، بل باعتبارها بناءً اجتماعيًا-ثقافيًا يتشكل عبر التاريخ ويتأثر بالتحويلات السياسية والاقتصادية والإعلامية. وفي هذا السياق، تُعتبر السينما أحد أبرز الفضاءات التي يُعاد فيها تشكيل الهوية وصياغة تمثيلات الذات والآخر، لكونها وسيطًا رمزيًا يجمع بين السرد البصري والتخييل الجماعي.

فقد أوضح بنديكت أندرسون في تحليله للجماعات المتخيلة أنّ وسائل الإعلام، بما فيها الأدب والصحافة، كانت أدوات جوهرية في بلورة الوعي الوطني (بنديكت، 1991، ص6) وإذا أسقطنا هذا التصور على السينما، نجد أنها تُنتج بدورها "جماعات متخيلة" جديدة، عبر إعادة رسم حدود الانتماء وترسيخ الشعور بالهوية الوطنية أو الثقافية.

في التجربة العربية، لعبت السينما بعد الاستقلال دورًا مركزيًا في بناء الهوية الوطنية. ففي الجزائر مثلاً، شكّلت أفلام السبعينيات امتدادًا للذاكرة الثورية، من خلال تمثيل المقاومة الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي، وهو ما منح السينما بُعدًا توثيقياً ووجودياً في آن واحد (آرمز، 2006، ص120-125) لقد كان الهدف هو إعادة كتابة التاريخ بصيغة بصرية تُرسخ في المخيال الجمعي.

لكن الهوية السينمائية ليست واحدة أو مغلقة؛ فهي فضاء للصراع بين مكونات متعددة: صوت المرأة في مواجهة التمثيلات الذكورية التقليدية، حضور الأقليات العرقية والثقافية في مواجهة السرديات الرسمية، وظهور المهمشين في مواجهة المركز. من هذا المنظور، تتحول السينما إلى أداة نقدية تكشف التصدعات داخل الهوية بدلاً من تقديم صورة متجانسة عنها.

وعلى المستوى العالمي، يتضح أن العولمة أضافت طبقة جديدة من التعقيد؛ إذ أصبحت الهوية السينمائية معرضة للتفاعل الدائم مع السرديات الكونية التي تفرضها مراكز الإنتاج الكبرى، خصوصًا هوليوود. ومع ذلك، يرى ميلر وزملاؤه أنّ العولمة الثقافية ليست مجرد عملية تدفق صور أحادية الاتجاه، بل هي فضاء للصراع والتفاوض حول معاني الهوية والاختلاف (ميلرتوبي، وآخرون، 2005، ص78-80).

إن التفكير في السينما باعتبارها حاملاً للهوية يتجاوز بعدها الجمالي ليضعها في قلب النقاشات السوسيولوجية والفلسفية الكبرى. فهي ليست فناً ترفيهياً فحسب، بل ممارسة رمزية تعيد تشكيل معنى الانتماء، وتتيح للأفراد والجماعات إعادة تعريف أنفسهم في مواجهة الآخر وفي ظل التحولات العالمية المتسارعة.

3- السينما في زمن العولمة الثقافية

لقد دخلت السينما منذ نهاية القرن العشرين مرحلة جديدة عنوانها الأبرز هو العولمة، بما تحمله من تدفقات للصور، ورؤوس الأموال، والتقنيات، وأنماط الاستهلاك الثقافي. لم تعد السينما فناً محلياً يُنتج ويُستهلك داخل حدود الدولة-الأمّة، بل تحولت إلى صناعة كونية متشابكة، تتجاوز الحدود الجغرافية واللغوية. هنا يصبح الحديث عن السينما inseparable عن الاقتصاد السياسي للعولمة، حيث يختلط الفني بالمالي، والجمالي بالسياسي.

يرى أرجون أبادوراي (أبادوراي، 1996، ص 27-33) أنّ العولمة الثقافية تُفهم من خلال "مناظر" متعددة (scapes) تشمل التدفقات الإعلامية، والهجرات، والتكنولوجيا، والتمويل؛ فالسينما تتجسد في قلب هذه المناظر، إذ تتحرك الأفلام عبر قنوات التوزيع العالمية، ويُعاد استهلاكها في سياقات ثقافية متباينة، فنُكسبها قراءات وتأويلات مختلفة. والعمل السينمائي لم يعد يُشاهد فقط في بيئته الأصلية، بل يخضع لعملية "إعادة توطين" ثقافي (relocalization) في كل فضاء يستقبله.

إلى جانب هذا، فرضت هوليوود هيمنة كونية من خلال سيطرتها على تقنيات الإنتاج والتوزيع والتسويق. ويشير ميلر وزملاؤه (ميلرتوبي، وآخرون، 2005، ص 78-79) إلا أنّ صناعة السينما الأميركية لم تكتفِ بترويج الأفلام كمنتج ترفيهي، بل حملتها قيماً وأنماط حياة ومفاهيم حول الحرية والفردانية والاستهلاك، ما يجعلها أداة للقوة الناعمة الأميركية. إنّ هذه الهيمنة تخلق نوعاً من "الاستعمار الثقافي" الذي يُهدّد بتذويب الفوارق الثقافية، وفرض رؤية أحادية للعالم.

غير أنّ العولمة لا تُختزل في كونها عملية استلاب فقط، بل هي أيضاً فضاء للمقاومة وإعادة التفاوض. فقد استفادت السينمات المحلية والمستقلة من الشبكات العالمية لتوسيع حضورها. فالأفلام الإيرانية، والمغربية، والكورية الجنوبية، بل وحتى الجزائرية، وجدت في المهرجانات الدولية منصات للتعريف بذواتها وقضاياها الخاصة أمام جمهور عالمي، لتتحول من الهامش إلى المركز. هذا ما جعل بعض الباحثين يتحدثون عن "عولمة بديلة" أو "عولمة مضادة"، حيث لا تذوب الهويات بل تعيد إنتاج نفسها عبر وسائط كونية.

تُبرز هذه الدينامية مفارقة جوهريّة: السينما الوطنية لا يمكنها اليوم أن تبقى منغلقة على ذاتها، لأنّ ذلك يعني عزلتها عن سوق التوزيع والاستهلاك، لكنها في المقابل لا تستطيع الاندماج الكلي في السوق العالمية دون

أن تخسر جزءاً من خصوصيتها. ومن هنا، تنشأ استراتيجيات جديدة في الكتابة السينمائية تسعى للمزاوجة بين المحلي والكوني؛ أي بين ما هو rooted في الثقافة الوطنية، وما هو open على الرؤية الكونية.

كما لا يمكن إغفال دور التكنولوجيا الرقمية التي غيّرت خريطة التوزيع والاستهلاك؛ فظهور المنصات مثل "نتفليكس" و"أمازون برايم" أتاح للأفلام من مختلف دول العالم الانتشار الواسع، لكنه في الوقت نفسه فرض معايير جديدة تتعلق بالطلب الجماهيري والربحية، ما جعل السينما المحلية أمام تحدٍّ مزدوج: الوصول إلى الجمهور العالمي، والحفاظ على استقلالية رؤيتها الفنية.

إنّ السينما في زمن العولمة تطرح سؤالاً فلسفياً عميقاً: كيف يمكن للصورة أن تكون في آنٍ واحد محلية وكونية؟ وكيف يمكن لها أن تُحافظ على جذورها، وهي مضطرة إلى العبور عبر شبكات عابرة للأوطان؟ الإجابة تظل مفتوحة، لكنها تؤكد أنّ السينما لم تعد مجرد فن سردي، بل مختبر لفهم آليات الهيمنة والمقاومة، والانفتاح والانغلاق، في عالم شديد الترابط والتعقيد.

4- السينما والذكاء الاصطناعي بين الفلسفة والتطبيق

يمثلّ الذكاء الاصطناعي (AI) أحد أبرز التحولات التي تشهدها السينما في القرن الحادي والعشرين، إذ لم يعد مجرد أداة تقنية مساعدة، بل أصبحت تقنيات الذكاء الاصطناعي متاحة بشكل أكبر و أكثر في صناعة السينما، و يمكن للمنتجين والمخرجين الصغار الآن الوصول إلى أدوات وتقنيات تقديم المؤثرات البصرية والتصوير باستخدام الذكاء الاصطناعي بشكل متاح و ميسر في الكاميرات الرقمية (محمد عبد، 2024، ص128).

بل الأدهى من ذلك أصبح فاعلاً جديداً يُعيد تشكيل مفاهيم الإبداع، والإنتاج، والتوزيع. فكما أحدثت الكاميرا ثورة في القرن التاسع عشر، وأحدثت الرقمنة ثورة أخرى في نهاية القرن العشرين، فإنّ الذكاء الاصطناعي يَعد اليوم بتحويل السينما إلى مختبر تتقاطع فيه الخوارزميات مع المخيلة الإنسانية.

من الناحية الفلسفية، يثير حضور الذكاء الاصطناعي أسئلة جوهرية حول طبيعة الإبداع: هل يمكن للفن أن يكون نتاجاً لخوارزمية؟ وهل يظل العمل الفني "إنسانياً" إذا شارك في صياغته كيان غير بشري؟ يرى أندرو ماكستاي أنّ الذكاء الاصطناعي لا يلغي الإبداع الإنساني بل يُعيد تعريفه، حيث يُصبح المبدع في موقع "المُيسّر" أو "المُوجّه" أكثر من كونه المصدر الوحيد للعمل (ماكستاي ، 2021، ص201-205) إنّ هذا التحول يدعونا إلى التفكير في علاقة جديدة بين الإنسان والآلة، علاقة تشاركية بدل أن تكون صراعية، إذا ما أردنا يوماً أن نربطه ننسبه للآلة فعلياً حينها أن نعيد صياغة تعريف جديد للفن بما يتماشى مع الوضع الراهن. (بن شعيب، 2021، ص165).

من الناحية التطبيقية، بدأ الذكاء الاصطناعي يتدخل في جميع مراحل الصناعة السينمائية تقريباً:

1- مرحلة ما قبل الإنتاج: (Pre-production)

تُستخدم الخوارزميات لتحليل السيناريوهات والتنبؤ بمدى نجاحها التجاري، أو لتحديد أفضل خيارات التوزيع. وقد اعتمدت بعض شركات الإنتاج الكبرى على أدوات ذكاء اصطناعي لفحص مئات النصوص السينمائية واقتراح تلك التي تملك "فرصاً سوقية" أعلى (ماكستاي ، 2021 ، ص203).

2- الإنتاج: (Production) أتاح الذكاء الاصطناعي تطوير تقنيات الـ Deepfake؛ التي تستعمل في إعادة إحياء ممثلين راحلين، أو في تجديد شباب الممثلين الكبار كما حدث في أفلام هوليوودية مثل The Irishman (2019) وهذا يفتح الباب أمام تساؤلات أخلاقية حول "ملكية الجسد" و"حقوق الصورة".

3- ما بعد الإنتاج: (Post-production)

تُستعمل أدوات الذكاء الاصطناعي في المونتاج، وتصحيح الألوان، وإضافة المؤثرات البصرية بشكل أسرع وأرخص مقارنة بالطرق التقليدية. على سبيل المثال، طورت شركة "أدوبي" برمجيات قادرة على تعديل الصوت والصورة بشكل شبه آلي، ما يختصر وقتاً وجهداً هائلين.

4- التوزيع و الاستهلاك (Distribution and Consumption)

تعتمد المنصات الرقمية مثل "نتفليكس" و"أمازون برايم" على خوارزميات توصية ذكية تُحلّل سلوكيات المشاهدين وتقتراح محتويات مخصصة لكل مستخدم (ميلرتوبي، وآخرون، 2005، ص80) هذه الخوارزميات لا تكتفي بتوجيه المشاهد، بل تُسهم في تشكيل ذائقة الجمهور، وبالتالي في تحديد نوعية الأفلام التي تُنتج مستقبلاً. لكن هذه التطبيقات العملية تُثير في الوقت نفسه إشكالات أخلاقية وقانونية وفلسفية عميقة:

- من يملك الحقوق إذا أُنتج فيلم كامل عبر الذكاء الاصطناعي؟
- كيف نميّز بين "الأصالة" و"المحاكاة" في الفن؟
- هل تتحول السينما إلى صناعة مُبرمجة تخضع للمنطق الحسابي أكثر من خضوعها للتجريب الجمالي؟

إنّ هذه الأسئلة تجعل من الذكاء الاصطناعي ليس مجرد تقنية، بل أفقاً فلسفياً جديداً يُعيد تعريف السينما كفنّ وكسلعة في آن واحد. فمن جهة، يَعدّ بفتح إمكانيات لا محدودة للإبداع، ومن جهة أخرى يهدّد بانتزاع جزء من "إنسانية الفن"، إذا ما هيمنت الخوارزميات على القرار الإبداعي.

ومن هذا المنطلق، يبدو أن المستقبل سيشهد سينما هجينة، حيث يتداخل الإبداع الإنساني مع قدرات الذكاء الاصطناعي، في علاقة تكاملية قد تُنتج أشكالاً جمالية غير مسبوقة.

خاتمة:

لقد سعى هذا البحث إلى تجاوز الرؤية الاختزالية للسينما باعتبارها مجرد صناعة للصور أو وسيلة للترفيه، ليكشف عن طابعها المركّب كفضاء للتفكير وإنتاج المعنى وإعادة تشكيل الوعي الجمعي. فالسينما، بما تحمله من قدرة على التمثيل البصري، تعمل بمثابة أرشيف حيّ يُخلّد اللحظة التاريخية ويمنحها حضوراً دائماً، لكنها في الآن نفسه تتجاوز حدود التوثيق لتبتكر أشكالاً جديدة للتعبير عن الذات والهوية في أبعادها الفردية والجماعية.

وقد أبرزت الدراسة أنّ السينما تقف على خط تماس متوتر بين المحلي والعالمي: فهي معرضة باستمرار لخطر التماثل مع قوالب العولمة الاستهلاكية التي تسعى إلى طمس الخصوصيات، غير أنّها تمتلك في المقابل إمكانية التحول إلى قوة مضادة، تستعيد التجارب المهمّشة وتعيد الاعتبار للهويات المقصاة، لتغدو بذلك وسيلة للممانعة الرمزية وإعادة بناء الذاكرة المشتركة.

أما الحضور المتنامي للذكاء الاصطناعي في المشهد السينمائي فقد أطلق نقاشاً فلسفياً جديداً حول حدود الإبداع ومعنى التمثيل. فلم يعد الفن حكراً على المخيلة الإنسانية، بل غدا حقلاً تشاركياً تُسهم فيه الآلة إلى جانب الإنسان في صياغة الصورة وإنتاج الدلالة. من هنا، يبدو مستقبل السينما رهيناً بقدرتها على تحقيق معادلة دقيقة: الإفادة من منجزات الابتكار التكنولوجي، مع التمسك بجوهرها الإنساني القائم على التجربة الوجودية، والعاطفة، والذاكرة.

المقترحات

1. إعادة الاعتبار للسينما الوطنية: عبر تشجيع السياسات الثقافية التي تضمن للمنتج المحلي فضاءاً للتعبير والتوزيع، بما يعزز مناعة الهوية أمام هيمنة العولمة.
2. الاهتمام بالبعد التعليمي للسينما: ينبغي إدماج الفيلم في العملية التعليمية، ليس كوسيلة للترفيه بل كأداة لتدريب الطالب على التحليل النقدي وفهم الظواهر الاجتماعية.
3. توظيف الذكاء الاصطناعي بوعي نقدي: وذلك باستعمال تقنياته لتوسيع أفق الإبداع، دون الوقوع في فخ الاستبدال الكامل للمخيلة الإنسانية.
4. تشجيع الدراسات متعددة الاختصاصات: بما يسمح بمقاربة السينما من زوايا مختلفة (اجتماعية، فلسفية، تقنية، سياسية) لتكوين رؤية شاملة ومعقدة.
5. الانفتاح على التجارب العالمية دون فقدان الخصوصية: إذ يمكن للسينما المحلية أن تكتسب قوة أكبر حين تشتبك مع قضايا كونية كحقوق الإنسان والعدالة والبيئة، من دون أن تتنازل عن سرديتها الخاصة.

الإحالات وقائمة المراجع:

- أرجون أبادوراى . (1996). *الحدائق الكبرى: أبعاد العولمة الثقافية*. مينيسوتا: جامعة مينيسوتا.
- أندرسون بنديكت. (1991). *الجماعات المتخيلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها*. لندن: فيرسو.
- أندرو ماكستاي . (2021). *الذكاء الاصطناعي والإبداع: مستقبل الفن في عصر الآلة*. . نيويورك: روتليدج.
- روي آرمر . (2006). *السينما والمجتمع في العالم العربي: السياسة والثقافة*. القاهرة: مطبعة الجامعة الأمريكية.
- رياض بن شعيب. (2021). *الذكاء الاصطناعي والإبداع في السينما الرقمية*. مجلة آفاق سينمائية (1).
- محمد سمير محمد عبد. (2024). *توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في الأفلام السينمائية*. مجلة آفاق سينمائية، م11، ع2، ص 128. (11).
- مورا إدغار. (2005). *السينما أو الإنسان المتخيل*. سوي، باريس: منشورات .
- ميلرتوبي، وآخرون. (2005). *عولمة الثقافة الشعبية: صناعة الإعلام بين المركز والهامش*. لندن: مطبعة روتليدج.